الدبلوماسية العامة الرقمية .. قوة ناعمة جديدة

The Public Diplomacy 2.0 .. New Soft Power

تاريخ إرسال المقال : 02/07/2017 تاريخ قبول المقال للنشر : 24/08/2017

طيايبة ساعد / جامعة محمد بوضياف - المسيلة

الملخص:

يبحث هذا المقال في الدبلوماسية العامة الرقمية باعتبارها من أهم مقومات وأدوات القوة الناعمة خلال العصر الرقمي، انطلاقا من مفهوم الدبلوماسية العامة والتطور النظري لهذا المفهوم من خلاق الطرح الذي قدمه جوزيف ناي، وصولا إلى تعاظم أهمية و زيادة دور الدبلوماسية العامة في عصر المعلومات المعولمة، من خلال أساليب جديدة تعتمد على ما توصل إليه العلم الحديث في مجال الاتصال و نقل المعلومات.

الكلمات المفتاحية : القوة الناعمة ، القوة الذكية ، الدبلوماسية العامة، الدبلوماسية الرقمية، الدبلوماسية العامة الرقمية .

Abstract:

This article examines digital public diplomacy as one of the most important elements of soft power in the digital age, from the concept of public diplomacy and the theoretical development of this concept from the creative work of Joseph Nye to the growing importance and increasing role of public diplomacy in the globalized information age. Through new methods based on the findings of modern science in the field of communication and information transfer.

key words : Soft Power, Smart Power, Public Diplomacy, Digital Diplomacy, Public Diplomacy 2.0 .

مقدمة :

أدى التطوّر و التوسّع في المجتمع الدّولي و التداخل الكبير بين أفراده، إلى تبلور مفهوم حديث وأشكال جديدة للدبلوماسية، تشمل كافة أساليب مباشرة العلاقات الخارجية بمختلف جوانبها. وهذا المفهوم الواسع هو الأقرب إلى واقع الحياة المعاصرة، حيث تتخذ أساليب الاتصال و التفاعل أشكالا متعددة، تتعدى بكثير تلك التي كانت مقتصرة في الماضي على التعامل الثنائي من خلال المبعوثين الدبلوماسيين.

وظهرت في ظل هذا المفهوم مسارات عديدة للدبلوماسية: أولها المسار الرّسمي، الذي يغطي سبل الاتصال و التفاوض و التفاعل بين الحكومات والدول، على مختلف الأصعدة ثنائية وإقليمية و دولية متعددة الأطراف؛ ويتمثل ثاني هذه المسارات في الإطار غير الرّسمي الذي تعاظمت أهميته وتأثيره منذ بداية التسعينيات، ويغطي سبل الاتصال و التعاون بين المنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني؛ و يتمثل الثالث في مسار رجال الأعمال في القطاع الخاص و التعامل فيما بين الشركات الخاصة والمتعددة الجنسيات؛ أما المسار الرابع فهو مسار الاتصال والتفاعل بين الأفراد في المجالات الثقافية، العلمية، الفنية و الرياضية من خلال برامج التبادلات والأنشطة الثقافية المختلفة و شبكة الانترنيت؛ و المسار الخامس يتمثل في التعاون والتفاعل بين وسائل الإعلام من خلال برامج التعريف بالآخر. وأصبحت هذه جميعا تعرف بـ «الدبلوماسية متعددة المسارات» (Multi-track Diplomacy).

وقد تبلور في الولايات المتحدة مفهوم يجمع بين بعض هذه المسارات، يعرف بـ«الدبلوماسية العامة» (Public Diplomacy).

لقد عرف العالم ثلاث ثورات كبرى، كانت الاولى زراعية، و الثانية صناعية، و الثالثة معلوماتية أثرت على النسيج الاجتماعي العالمي، و أنماط التفكير البشري، وكانت تلك الثورات بمثابة موجات مختلفة الوتيرة أثرت على أشكال الممارسة الدبلوماسية و على تطوّر أدائها.

كان عالم سياسات القوة التقليدي يدور عادة حول القوة الاقتصادية و العسكرية، وحول تحديد القوة التي سوف تكون لها الغلبة بين القوى المختلفة. أما في عصر المعلومات اليوم فقد باتت رواية كل طرف للواقع تشكل أحد أهم عناصر الفوز.

يمكن طرح الاشكالية التالية للموضوع: **كيف أثرت الثورة المعلوماتية الرقمية على ممارسة الدبلوماسية العامة؟**

سنحاول من خلال هذه الدراسة اختبار فرضية مفادها: أن الثورة المعلوماتية الرقمية ساهمت بشكل كبير في زيادة فاعلية و تطور أداء الدبلوماسية العامة، عن طريق استخدامها للوسائل الرقمية الجديدة في التواصل و الاعلام التفاعلي.

أولا : نشأة وتطور الدبلوماسية العامة

يعد مفهوم الدبلوماسية العامة (Public diplomacy) من المفاهيم القديمة التي تتخذ مدلولات حديثة، فهي تلك النشاطات التي تتجه إلى مخاطبة الجماهير بوسائل شعبية، لإيجاد علاقات مباشرة بين الشعوب وكسب تأييدها.[1]

عرّفها تقرير اللجنة الاستشارية الأمريكية للدبلوماسية العامة سنة 1991 على أنها: ((التبادل المفتوح والحر للأفكار والمعلومات، وهي التي تعد سمة ملاصقة للمجتمعات الديمقراطية)). ويتضح من هذا التعريف أنه يحصر الدبلوماسية العامة في النظم الديمقراطية، وهذا الأمر الذي لا تؤكده الممارسة العملية، فهناك الكثير من الكتابات عن الدبلوماسية العامة للصين، التي لا تعد دولة ديمقراطية بالمفهوم الدقيق.[2]

أما اللجنة الاستشارية الأمريكية للدبلوماسية العامة، فترى في تقرير لها سنة 2003، بعنوان «تغيير العقول وكسب السلام: توجّه استراتيجي جديد للدبلوماسية العامة في العالم العربي و الإسلامي» [أو مايعرف أيضا بتقرير **جيريجيان** (Edward Peter DJEREJIAN)]، أن الدبلوماسية العامة هي: ((الترويج للمصالح الوطنية عن طريق إعلام المواطنين وإخبارهم، إلى جانب جذبهم و التأثير فيهم)).[3]

عرفتها كتابة الدولة الأمريكية للشؤون الخارجية بأنها: ((البرامج التي تطلقها الدولة بنيّة الإعلام والتأثير في الرأي العام في البلدان الأخرى)).

ويضيف تقرير (Report of the United States General Accounting Office) (GAO) لسنة 2003، أن الولايات المتحدة الأمريكية تحاول استخدام الدبلوماسية العامة من أجل الحصول على تأييد خارجي لسياستها الخارجية، مؤكدا أن الدبلوماسية العامة تتم عن طريق مجموعة متنوعة من البرامج، والتي تقوم على توظيف التواصل بين الأفراد.[4]

كما يعرفها البروفسور **مانهايم غارول** بقوله: ((الدبلوماسية العامة هي إدارة الإدراكات (Management of perceptions)، وذلك لتحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية)).

وقد عرف هانز توش (Hans N. TUCH) الدبلوماسية العامة في كتابه «الاتصال بالعالم: الدبلوماسية العامة للولايات المتحدة فيما وراء البحار» على أنها: ((عملية حكومية للاتصال بالعامة من الدول الأجنبية، في محاولة لإيجاد فهم واضح لأفكار ومعتقدات و مؤسسات وثقافة، بل والأهداف الوطنية والسياسات الحالية)).

ويفرق **هانز** بين الدبلوماسية التقليدية والعامة، في أن الأولى تقيم العلاقات بين الدول عن طريق التفاعلات بين الحكومات ووزارات الخارجية بالأساس، وبالتالي فهي تتطلب قدر من

الخصوصية والسرية؛ في حين أن الدبلوماسية العامة هي عملية منفتحة تهدف للوصول إلى الجماهير.[5]

ويختلف مصطلح الدبلوماسية العامة عن مصطلح الدعاية في أن هذه الاخيرة لا تهتم بصدق المعلومات أو الاخبار، كما أنها ترتبط بظروف آنية و ليست طويلة المدى، و ما لهذا المصطلح من نظرة سلبية من قبل الجماهير، رغم أن هناك من يعتبر الدبلوماسية العامة دعاية صادقة. كما يختلف مصطلح الدبلوماسية العامة عن مصطلح العلاقات العامة التي لا تستهدف بالضرورة الجماهير الأجنبية، كما أن أهدافها تختلف عن أهداف الدبلوماسية العامة، لأن العلاقات العامة في الغالب هي نظام دفاع للمؤسسات، تعمل على تحريكها و تفعيل نشاطها، وتحسين صورتها.

إذا فالدبلوماسية العامة في تعريفها البسيط، تعني الآليات والبرامج التي تنتهجها الحكومات لتعزيز مصالحها الخارجية، من خلال التوعية والإعلام والتأثير على الجمهور الأجنبي ورأيه العام وكذلك جماعات المصالح فيه، بما يحد من سوء الفهم الذي يمكن أن يعقد العلاقات الخارجية.[6]

مصطلح "الدبلوماسية العامة" وضعه **إيدمون غاليون**، عميد كلية «فليتشر» للحقوق والدبلوماسية وموظف سابق في السلك الدبلوماسي سنة 1965 ، حيث حدده بقوله: ((الدبلوماسية العامة تتناول تأثير المواقف العامة على صياغة وتنفيذ السياسات الخارجية [..] وتنطوي على أبعاد العلاقات الخارجية التي تتجاوز الدبلوماسية التقليدية، والإفادة من قياس الحكومات للرأي العام في البلدان الأخرى، والتفاعل بين المجموعات والمصالح الخاصة في بلد ما مع مجموعات ومصالح بلد آخر، ورفع التقارير حول الشؤون الخارجية وأثرها على السياسة، والتواصل بين اللذين يعملون في مجال الاتصالات، وبين الدبلوماسيين والمراسلين الأجانب، وعملية التواصل بين الثقافات. والأمر المركزي بالنسبة للدبلوماسية العامة هو التدفق التحويلي للمعلومات والأفكار)).[7]

هناك من يرى أن تجسيد هذا النوع من الدبلوماسية كان على يد **إدوارد مورو** (Edward R. MURROW)، الذي كان رجلاً متعدد المواهب والإمكانات. كان صحافياً، وشخصية دولية، ومذيعاً، ومن المشاهير، وكان في آخر فصل من حياته، موظفاً حكومياً ودبلوماسياً. وقد عيّنه الرئيس **جون كينيدي** سنة 1961 لرئاسة وكالة الإعلام الأميركية (USIA)، وكان أعلى شخصية مفسِّرة للسياسة الخارجية لمشروع "الحدود الجديدة" للرئيس **كينيدي** حتى استقالته بسبب حالته الصحية بعد ذلك بثلاث سنوات. وأصبح في الواقع أول تجسيد لما لم يكن قد سمي بعد، ألا وهو ميدان الدبلوماسية العامة.[8]

ثانيا : مفهوم القوة الناعمة و التطور النظري للدبلوماسية العامة

يرى **جوزيف ناي** (Joseph NYE) أن القوة العسكرية والقوة الاقتصادية معا مثالان عن القوة الصلبة (Hard Power)، التي يمكن استخدامها لإقناع الآخرين بتغيير مواقفهم، فالقوة الصلبة يمكن أن تستند إلى سياسة العصا و الجزرة (أي الإقناع و التهديد). فقوة الدولة الصلبة تضل متركزة أساسا على العناصر التالية: نوعية وكم السكان؛ الموقع الجغرافي؛ الموارد الطبيعية؛ قدرات السكان التقنية والصناعية؛ الإمكانات العسكرية؛ إضافة إلى نظام حكمها وإدارتها. وعند محاولة قياس مدى قوة أي دولة على الساحة الدولية، تؤخذ هذه العناصر الستة في الحسبان الأول، حيث تمثل مجتمعة ما يسمى بالقوة الخشنة أو الصلبة للدولة، أو المادية الأساسية للدولة.[9]

إلا أن مقومات قوّة الدولة قد تغيرت مع الزمن، ففي القرن التاسع عشر كان توازن القوى بالإضافة إلى عوامل الأرض، السكان و الزراعة يوفر أساسا لهيمنة سلاح المشاة، وكانت فرنسا المستفيدة الرئيسية من ذلك. وفي القرن التاسع عشر وفرت القدرة الصناعية الموارد التي مكنت بريطانيا و فيما بعد ألمانيا، من السيطرة. وفي منتصف القرن العشرين ساهم العلم وخصوصا الطبيعة النووية في تزويد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي بالمصادر الأساسية للقوة. وفي القرن الواحد والعشرين من المرجح أن تكون تكنولوجيا المعلومات بمعناها الواسع – كما يرى **كيوهن و ناي**- أهم مصادر القوة.[10]

وهذا الجانب من القوة هو ما يعبر عنه بالقوة الناعمة (Soft Power)، التي تشير إلى القدرة على تحقيق الأهداف المنشودة، لأن الآخرين يريدون ما تريد، وهي القدرة على تحقيق الأهداف عن طريق الاستمالة لا الإكراه. وهي تنجح بإقناع الآخرين بأن يتبعوا القواعد التي تنتج السلوك المنشود أو حملهم على الموافقة عليها، والقوة الناعمة يمكن أن ترتكز على جاذبية أفكار المرء أو ثقافته أو القدرة على تحديد الموضوعات عن طريق المعايير و التقاليد التي يفضلها الآخرون.[11]

فقد عرف **جوزيف ناي** سنة 1990 القوة الناعمة على النحو التالي: ((القوة الناعمة هي في جوهرها قدرة أمة معينة على التأثير في أمم أخرى و توجيه خياراتها العامة، وذلك استنادا إلى جاذبية نظامها الاجتماعي والثقافي، ومنظومة قيمها ومؤسساتها، بدل الاعتماد على الإكراه أو التهديد)). وهذه الجاذبية حسب **جوزيف ناي** يمكن نشرها بطرق شتى مثل: الثقافة الشعبية، الدبلوماسية الخاصة والعامة، المنظمات الدولية ومجمل الشركات والمؤسسات التجارية العاملة. ويحصر **جوزيف ناي** القوة الناعمة لأي دولة من الدول الكبرى الفاعلة في المسرح العالمي في ثلاثة عناصر أساسية:

- الثقافة العامة، وإذا ما كانت جاذبة أو مُنفّرة للآخرين.
- القيم السياسية ومدى جدية الالتزام بها، سواء في الداخل أو في الخارج، وسواء في وقت السلم أو الحرب.
- السياسة الخارجية المنتهجة، ودرجة مشروعيتها وقبولها الطوعي من طرف دول العالم وشعوبه.[12]

فالقوة الناعمة إذا هي القدرة على التوصل إلى الغاية المطلوبة من خلال جذب الآخرين، وليس باللجوء إلى التهديد أو الجزاء. وهذه القوة تعتمد على الثقافة والمبادئ السياسية والسياسات المتبعة، وإذا تمكنت من إقناع الآخرين بأن يريدوا ما تريد، فلن تضطر إلى إنفاق الكثير بتطبيق مبدأ العصا والجزرة لتحريك الآخرين في الاتجاه الذي يحقق مصالحك. على عكس القوة الصلبة التي تعتمد على الإكراه، فهي تُستَمَد من القوة العسكرية والاقتصادية. وتظل لهذه القوة أهميتها الحاسمة في عالم ممتلئ بدول تهدّد الآخرين، ويعج بالمنظمات الإرهابية. لكن القوة الناعمة ستكتسب المزيد من الأهمية في منع الإرهابيين من تجنيد أنصار جدد، وفي تحقيق التعاون الدولي الضروري لمواجهة الإرهاب.[13]

انطلق **جوزيف ناي** من مقارنة سلوك الآباء في تربية أبنائهم، فهو يفرق بين الأب الذي يقوم بتنشئة أطفاله وفقا لقيم ومعتقدات صحيحة، وبين الذي يعتمد على الضرب في التربية. و نتيجة ذلك أن قوة الأول ستستمر لأنها بنيت على الترغيب، بينما يولد سلوك الأب الثاني ردّات فعل عدوانية بسبب العنف في التنشئة. فقد قال: (([..] على المستوى الشخصي، الأبوان الحكيمان يعلمان أنّه إذا قاما بتربية أولادهم على القيم والمفاهيم الصحيحة، فإن قوّتهم ستكون أكبر وستدوم لفترة أطول مما لو كانوا اعتمدوا فقط على الضغط والتوبيخ أو قطع المصروف أو أخذ مفاتيح السيّارة مثلا. كذلك الأمر فيما يتعلّق بالمسئولين السياسيين والمفكّرين، مثل **أنتونيو غرامشي** الذين فهموا طويلا القوّة الناجمة عن وضع جدول أعمال وخطّة عمل بالإضافة إلى تحديد إطار عمل لنقاش معيّن)).[14]

إذاً، القدرة على تكوين تفضيلات الآخرين تميل إلى الارتباط بمصادر القوة الملموسة، مثل جاذبية الثقافة و إيديولوجية المؤسسات، أوكما يقول **ناي**: ((فلو كان بمقدوري أن أجعلك تفعل ما أرغب فيه، أنا حينئذ لا أكون مضطرا إلى إجبارك على عمل شيء لا تريده أنت [..] فلو أنّ الولايات المتّحدة تمثّل قيما يريد الآخرون إتباعها لكانت الكلفة التي ندفعها للقيادة أقل)). وعليه فالقوة الناعمة ليست مماثلة للنفوذ، لذلك فهي ستصبح مصدرا من مصادر النفوذ.[15]

يرى **ناي** أن «القوة الذكية» تتلخّص في القدرة على الجمع بين القوة الصارمة وقوة الجذب الناعمة في استراتيجية واحدة ناجحة. وبصورة عامة، كانت الولايات المتحدة ناجحة في

التوصّل إلى هذه التركيبة أثناء الحرب الباردة؛ وفي أوقات أقرب إلى يومنا هذا. بيد أن السياسة الخارجية التي تنتهجها الولايات المتحدة اليوم أصبحت تميل إلى الإفراط في الاعتماد على القوة الصارمة، وذلك لأنها تمثل أكثر مصادر القوة الأمريكية مباشرة ووضوحاً، ولكن رغم أن وزارة الدفاع تمثل الذراع الأفضل تدريباً والأوفر مورداً، إلا أننا لابد وأن نعترف بوجود حدود لما يمكن إنجازه من خلال القوة الصارمة وحدها. ومما لا شك فيه أن الديمقراطية، وحقوق الإنسان، وتنمية المجتمع المدني كلها غايات لن تتأتى ولن تتحقق تحت تهديد السلاح. لا نستطيع أن ننكر أن المؤسسة العسكرية الأمريكية تتمتع بقدرة هائلة فيما يتصل بالعمليات العسكرية، ولكن الارتكان إلى وزارة الدفاع في كل الأمور بدعوى قدرتها على إنجاز الأمور، لابد وأن يؤدي إلى تكوين صورة لسياسة خارجية أمريكية مبالغ في عسكرتها.

إن الحكومة الأمريكية كثيراً ما تُهمل الجهود الدبلوماسية والمساعدات الخارجية أوتُنقص في تمويلهما، ويرجع بعض السبب وراء ذلك إلى صعوبة إظهار تأثير هذين العاملين في المدى القريب في التحديات الحرجة. فضلاً عن ذلك فإن استخدام القوة الناعمة ليس بالأمر السهل، لأن العديد من مصادر القوة الناعمة الأمريكية تقع خارج نطاق سلطات الحكومة الأمريكية، أو بمعنى أدق في القطاع الخاص والمجتمع المدني، وفي التحالفات الثنائية، والمؤسسات التعددية، والاتصالات الدولية. إضافة إلى ذلك فإن مؤسسات السياسة الخارجية الأمريكية تعاني الانقسام والتشتت، ولا توجد لدينا آلية وافية لتنمية وتمويل استراتيجية القوة الذكية.[16]

يضيف **ناي** بخصوص عالمية الثقافة و دورها في تعظيم القوة و الهيمنة: "إن عالمية ثقافة دولة ما، وقدرتها على وضع قواعد مفضلة ومؤسسات تحكم مناطق النشاط الدولي، هي مصادر حاسمة للقوّة، كقيم الديمقراطيّة والحريّة الشخصيّة والتطور السريع والانفتاح (الذي غالبا ما يتمثل في الثقافة الشعبيّة الأمريكيّة، التعليم العالي، والسياسة الخارجيّة) المتعلّقة بالقوّة الأمريكيّة في مناطق متعدّدة". أما من وجهة نظر الصحافي الألماني **جوزيف جوفي** (JOVI Joseph)، فإن:" قوة الولايات المتحدة الأمريكية الناعمة تفوق مقدراتها الاقتصادية والعسكريّة. فالثقافة الأمريكيّة سواء كانت ضعيفة أم رفيعة المستوى تشعّ خارجيّا بشكل لم يحصل له مثيل منذ الإمبراطورية الرومانية. إن تأثير ثقافة كل من الرومان وروسيا السوفيتية توقّفت عند حدودهما العسكرية، بينما استطاعت القوّة الناعمة الأمريكية أن تسيطر على إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس أبدا".[17]

مع نهاية الحرب الباردة أصبح الأمريكيون أكثر اهتماما بالتوفير في الميزانية بدلا من الاستثمار في القوة الناعمة - حسب رأي جوزيف ناي – ، حيث يرى أنه ليس لعاقل أن يقترح على أمريكا أن تنفق على إطلاق الأفكار قدر ما تنفقه على إطلاق القنابل، ولكن من العجيب أن تنفق الولايات المتحدة على القوة الصلبة أربع مئة ضعف ما تنفقه على القوة الناعمة.[18]

ثالثا : الدبلوماسية العامة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر أدركت الولايات المتحدة أن ثمة خللا واضحا في صورتهما لدى العالم العربي والإسلامي، وهو الأمر الذي أثرَ بصورة كبيرة على سياستها الخارجية وأهدافها في العالم العربي بشكل سلبي. وتساءلت الولايات المتحدة لماذا يكرهوننا؟ أي لماذا يقومون بعمليات إرهابية ضدنا؟ وعلى الرغم أن الاعتقاد بكره العرب والمسلمين للولايات المتحدة وأوروبا هو ليس نابعا من دراسات ميدانية، إلا أن الإدارة الأمريكية قد تعاملت مع الأمر على أنه حقيقة واقعة يجب التعامل معها بحرص شديد.

لقد أدركت الولايات المتحدة أهمية القوة الناعمة إلى جانب القوة الصلبة في تحقيق أمنها. وقد تجلى ذلك واضحا بعد الحرب الإنجلو- أمريكية على العراق حيث كانت حرب الأسابيع الأربعة في العراق استعراضا مبهرا لقوة الولايات المتحدة العسكرية الكبيرة التي نجحت في إقصاء **صدام حسين**. لكنها لم تنجح في جعل الولايات المتحدة وبريطانيا حصينة ضد الإرهاب، إلى جانب كونها باهظة التكاليف.

ففي أعقاب الحرب أظهرت استطلاعات الرأي تدينا هائلا في شعبية الولايات المتحدة وبريطانيا. كما وصلت شعبية الولايات المتحدة إلى أدنى مستوياتها في الدول الإسلامية، التي طبقا للرؤية الأمريكية والبريطانية، تحتاج إلى دعمها من أجل المساعدة في تعقب الإرهابيين والأموال الملوثة والأسلحة الخطيرة.[19]

فقد أكد تقرير «جيريجيان» (Report of DJEREJIAN) لسنة 2003، على أن الدبلوماسية العامة قد ساعدت الولايات المتحدة في الفوز بالحرب الباردة، كما أنه من المتوقع أن تساعد الولايات المتحدة أيضا في الحرب على الإرهاب.[20]

وفي شهر يونيو من سنة 2007، أظهر استطلاع دولي آخر أجراه «مركز بيو للبحوث» (The Pew Research Center)، أن انعدام ثقة سكان العالم في الرئيس الأمريكي **ووكر بوش** بدأ يتحول مع الوقت إلى نوع من الكراهية تجاه الولايات المتحدة نفسها. فقد تبين من خلال هذا الاستطلاع الذي شارك فيه أكثر من خمسة وأربعون ألف شخص من سبع وأربعون دولة، أن تأييد سكان العالم للولايات المتحدة تقلص بحدّة بين حلفاء الولايات المتحدة في الغرب، كما شهد انخفاضا كبيرا في أمريكا اللاتينية و أوروبا الشرقية والصّين و الشرق الأوسط. كما أظهر هذا الاستطلاع أن هناك امتعاضا شديد من المثل الأمريكية وتراجعا لانتشار الأفكار الأمريكية عبر العالم، رغم أن التكنولوجيا و الثقافة الشعبية الأمريكية لا تزال تحظى بإعجاب كبير.

أما إذا تحدثنا على العالم الإسلامي، فإن صورة أمريكا تكون أكثر قتامة و سوءا، فقد أظهر هذا الاستطلاع أن غالبية الشعوب الإسلامية ترى أن الولايات المتحدة تعمل على إهانة

الإسلام والمسلمين، وقد تغذى هذا الشعور من مجمل السياسات والمواقف الأمريكية إزاء القضايا العربية والإسلامية، وكذا من الإجراءات التعسفية داخل الولايات المتحدة وخارجها، التي تم إتباعها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وما أعقب ذلك من غزو أفغانستان والعراق وما سمي بالحرب العالمية على الإرهاب.[21]

من هنا تتبين الأهداف الأمنية للدبلوماسية العامة، حيث تلعب - طبقا لمفهوم الولايات المتحدة - دورا فيما يعرف بالأمن الوقائي (Preventive Security)، حيث أنه في عصر العولمة والاعتماد المتبادل، وبسبب الثورة الهائلة في وسائل الاتصال أصبح من الصعب على الدول الحفاظ على أمنها بالوسائل التقليدية من جيوش وأسلحة، حيث امتد مفهوم الأمن ليشمل عناصر غير عسكرية، كالعناصر الاجتماعية والثقافية والاتصالية. فباتت دبلوماسية الإقناع القائمة على الثقافة، والمعلومات، والاتصال بالجماهير من أهم خطوط الدّفاع الأولية التي يمكن أن ترتكز عليها الاستراتيجية الأمنية الأمريكية، وذلك لاتسامها بالسهولة و انخفاض تكاليفها.

وكان من بين النصائح التي قدّمها أحد الخبراء في مجال الدبلوماسية العامة حول ما يجب عمله في العالم العربي و الإسلامي: بناء تحالف واسع ضد الإسلاميين، من الدول والجماعات والأفراد من ذوي البواعث المختلفة؛ وتوظيف الحرب غير المتوازية في معركة الدبلوماسية العامة ضد الإسلاميين؛ وإيجاد نقاط ضعف يمكن استغلالها و اغتنام لحظات الفرص؛ والتنافس على عقول النشء الإسلامي؛ والاستثمار في التعليم خصوصا في تعليم اللغة الانجليزية.

وقالت **كارين هيوز** (Karen HUGHES)، وكيلة وزارة الخارجية الأمريكية للدبلوماسية العامة و الشؤون العامة، في 10 نوفمبر 2005، أمام لجنة العلاقات الدولية التابعة لمجلس النواب الأمريكي: ((إن استراتيجية الدبلوماسية العامة للولايات المتحدة تشمل تحديات عالمية و تحديات تمتد على مدى أجيال للأفكار والقيم)).

ووضعت **هيوز** الخطوط العريضة لثلاث ضرورات إستراتيجية ملحة وواسعة النطاق، وذلك استلهاما للإحداث التي وضعها **مارك ليونارد** (Mark LEONARD)، ثم شرحت للجنة بالتفصيل أهداف الدبلوماسية العامة للولايات المتحدة، وهي:

- تقديم تصوّر إيجابي للفرص المتاحة والأمل إلى شعوب العالم.
- عزل و تهميش من يبرّرون القتل باسم العقيدة.
- تشجيع نمو الإحساس بالمصالح المشتركة بين الشعب الأمريكي وشعوب الدول والثقافات والديانات الأخرى.[22]

و بالتالي يتّضح أن الولايات المتحدة تركز على الهدف الأمني من الدبلوماسية العامة خاصة بعد أحادث الحادي عشر من سبتمبر، في حين تركز بريطانيا على الأهداف الاقتصادية للدبلوماسية العامة، حيث تسهم الدبلوماسية العامة في التجارة الخارجية من خلال فتح أسواق جديدة وهو ما يفسّر أن الدبلوماسية العامة البريطانية والأوروبية ليست بمثل كثافة نظيرتها الأمريكية تجاه العرب و المسلمين، لأن المصالح الاقتصادية البريطانية والأوروبية موجودة بصورة أكبر مع دول أخرى.

رأى **ناي**، أنه إذا كان لأميركا أن تنتصر في تلك الحرب، فيتعيّن على قادتها أن يعملوا على تحسين أدائهم في الجمع بين القوة الصلبة والقوة الناعمة فيما يمكن أن نسميه بـ«القوة الذكية».[23]

ترى الكاتبة **كريستين لورد** (Kristin M. LORD) أنه على الرغم من أن إعلاء المصالح الوطنية الأمريكية يستوجب عدم تغيير السياسات الأمريكية لمجرد أن الرأي العام العالمي لا يؤيدها، إلا أن ذلك لا يعني تهميش تلك المواقف أو إغفال تأثيرها على المصالح القومية الأمريكية.

ومن هذا المنطلق أضحت الدبلوماسية العامة آلية هامة لاستعادة المكانة الدولية للولايات المتحدة في ضوء عدّة متغيرات محورية أهمها ما يلي:

1. انتشار الديمقراطية على المستوى العالمي بما يعني أن توجهات الرأي العام في كل دولة تؤثر بصورة مباشرة على برامج الساسة المنتخبين تجاه الولايات المتحدة.

2. تصاعد التحديات العالمية النطاق التي تتجاوز آثارها السلبية الحدود السياسية للدول فرادى مثل تغيّر المناخ والتلوث والإرهاب ونشاط شبكات الجريمة المنظمة وتدفق اللاجئين، بما جعل مقولات وحدة المصير البشري حقيقة واقعة في ضوء ما تفرضه مواجهة هذه المشكلات من ضرورة تضافر الجهود الدولية الجماعية.

3. سعي التنظيمات الإرهابية لنشر الأفكار والأيديولوجيات المتطرفة بحيث لم يعد التصدِّي لتلك التهديدات بالوسائل العسكرية وحدها مُجديًا بما يجعل التصدِّي لتلك الأفكار بمنظومة فكرية مضادّة حيويًّا لتقويض الدعائم الفكرية التي تستند إليها التنظيمات الإرهابية في حشد التأييد واستقطاب عناصر جديدة لصفوفها.

4. ثورة الاتصالات والمعلومات التي أضحت تحتم تنويع وسائل التواصل مع الرأي العام العالمي لتوصيل الرؤى والمواقف الأمريكية عبر وسائط متنوعة.

5. صعود فاعلين دوليين جدد ذوي تأثير متنامي في النظام الدولي سواءً كانوا دولاً مثل الصين أو تكتلات دولية مثل الاتحاد الأوروبي أو وسائل إعلام عالمية الانتشار (مثل قناة

الجزيرة و CNN) التي يشاهدها حوالي ملياري شخص يوميًّا في مختلف أنحاء العالم أو الشركات دولية النشاط، بما يعني أن الولايات المتحدة يجب أن تتعامل مع تلك المتغيرات للحفاظ على مكانتها في النظام الدولي.[24]

كما يرى **فيليب تايلور** (Philip TAYLOR)، أستاذ الاتصالات الدولية في جامعة "ليدز" بالمملكة المتحدة، أن أهمية الدبلوماسية العامة تكمن في أنها تعمل كملّين للسياسة الخارجية من خلال تهيئة القبول العام في البلدان الأجنبية لأنشطة دولة أخرى، ويتمّ ذلك من خلال طريقتين: الأولى إبراز الثقافة والقيم الوطنية، والثانية نشر الأخبار والمعلومات. وأشار الكاتب إلى أن العديد من الدول أنشأت هيئات رسمية أو شبه رسمية لتقوم بهذه المهمة نيابة عنها، وتتمثل مهامها في توفير التدريب باللغات الأجنبية في البلدان الخارجية وإرسال المعارض الوطنية أو المتحدثين البارزين في جولات خارجية، وهدف هذه الهيئات - حسب الكاتب - هو إطلاع الجمهور الأجنبي على أفضل ما لدى الدولة، بما يجعل هذا الجمهور يحسن الظن والتصوّر بشأن هذه الدولة بهدف تعزيز التفاهم المشترك بين الشعوب وبالتالي العلاقات الطيبة بين البلدين،[25] لإقامة علاقات دائمة وفهم متبادل.

أما **مارك ليونارد** (Mark LEONARD)، فيرى أن الدبلوماسية العامة تستطيع أن تحقق مجموعة من الأهداف، من بينها:

- زيادة التآلف لدولة ما (Increasing Familiarity)، أي جعل الأفراد يفكرون في الدولة ويطوروا صورتها الايجابية لديهم.
- زيادة التقدير (Increasing Appreciation)، أي بناء مشاعر إيجابية للدولة، بجعل الآخرين ينظرون إلى القضايا من وجهة نظر تلك الدولة.
- ربط الشعوب (Engaging People)، أي تشجيع الشعوب على النظر للدولة على أنها أفضل الأماكن للسياحة والدراسة ولشراء المنتجات، ولتبني قيمها أيضا.
- التأثير على توجهات الأفراد (Influencing People's Behaviors)، عن طريق تشجيع الشركات على الاستثمار، وتشجيع الأفراد على تأييد موقف الدولة.[26]

رابعا : الوسائل المختلفة للدبلوماسية العامة

لتحديد وفهم وسائل الدبلوماسية العامة المختلفة، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أبعاد حسب **جوزيف ناي**، وقد استخدمنا هذه الأبعاد الثلاثة في محاولة لتصنيف وسائل الدبلوماسية العامة للولايات المتحدة الأمريكية:

فالبعد الأول للدبلوماسية العامة هو ذلك المتعلق بالاتصال اليومي للجماهير (Daily Communication)، والتي تعني الاستعداد الدائم لتقديم معلومات سريعة، وهو ما يطلق علية "رواية القصة" للمواطنين والصحفيين والإعلاميين بصفة عامة. وأهم الوسائل التي تعنى بهذا البعد من الدبلوماسية العامة هي السفارات، والتي تضطلع بدور هام جدا في هذا الخصوص، حيث تقوم السفارات الأمريكية والبريطانية في الدول العربية والإسلامية بندوات ومقابلات وزيارات، وتصريحات بهدف الاتصال المباشر بالجماهير. حيث تم مطالبة السفراء والمسؤولين عن الشؤون العامة بالسفارات الأمريكية بالإكثار من الأحاديث والتصريحات العلنية حول الموضوعات التي تمثل أهمية في الدول والمناطق التي تتواجد فيها بعثاتهم الدبلوماسية.

وقد أكدت **كارين هيوز**، وكيلة وزارة الخارجية الأمريكية للدبلوماسية والشؤون العامة، أن:((الدبلوماسية العامة هي حوار يشمل الإنصات و الاستماع بقدر ما يشمل الحديث))، مشيرة إلى جولة الاتصالات التي قامت بها في الشرق الأوسط ومناطق أخرى؛ كما أشارت إلى طلب الرئيس **ووكر بوش** أن يقوم أعضاء وزارته وكبار المسؤولين في الفرع التنفيذي للحكومة الأمريكية بالتواصل مع جماهير الدول الأخرى، وحثت أعضاء الكونغرس على أن يفعلوا نفس الشيء.[27]

أما البعد الثاني للدبلوماسية العامة فهو الاتصال الاستراتيجي (Strategic Communication)، وهو البعد الذي يحاول تحقيق نوع من التناسق بين الرسائل المختلفة التي تبثها جهات مختلفة تحت مسمى الدبلوماسية العامة، ولعلها في ذلك تكون أشبه بحملات الدعاية الإعلامية أو السياسية المتكررة ذات الشعار الواحد.

وهناك وسائل كثيرة يتم بها تحقيق هذا البعد الهام، ولعل أهمها وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة. فالولايات المتحدة الأمريكية قامت بإطلاق "إذاعة سوا" (Radio Sawa) سنة 2002، التي تقدم موجزا للأنباء كل نصف ساعة، يتضمن آخر الأخبار عن السياسة الأمريكية وتطورات منطقة الشرق الأوسط وباقي دول العالم، كما تقدّم هذه الإذاعة الموسيقى وأغاني البوب العربية والأجنبية. حيث تعد إذاعة "سوا" واحدة من الخدمات الدولية التي يشرف عليها و يموّلها مجلس أمناء الإذاعات الدولية الأمريكية، رغم أن هذه الإذاعة قد بدأت إرسالها برعاية إذاعة "صوت أمريكا"، فإنه سرعان ما تخلت واشنطن عن صوت أمريكا لصالح إذاعة سوا الجديدة لكسب الشباب العربي الذين تقل أعمارهم عن ثلاثين عام.[28]

ثم قامت الولايات المتحدة بإطلاق قناة «الحرة» الإخبارية (El hurra)، في فيفري 2004، بعد وجود قناعة بهيمنة الإعلام المرئي على الجمهور العربي، خاصة مع تفوق قنوات عربية (كقناة الجزيرة مثلا) وبثها رسائل مضادة للتوجهات الأمريكية.

أما البعد الثالث للدبلوماسية العامة، فهو متمثل في بناء وتطوير علاقات طويلة المدى

(Building relations hips) مع أفراد مؤسسات عن طريق البعثات الدراسية، التبادل الطلابي، دورات التدريب، المؤتمرات..، حيث تقوم وزارة الخارجية الأمريكية بتمويل وتدعيم عددا كبيرا من برامج التبادل الطلابي بين الولايات المتحدة والدول الأخرى، مثل برنامج "فولبرايت" (Fulbright) الذي بلغت اعتماداته سنة 2005 حوالي 144.5 مليون دولار، حيث تهدف إلى إعطاء منح دراسية للطلاب في جامعات الولايات المتحدة؛ أيضا هناك العديد من برامج التبادل الطلابي والشبابي، مثل برنامج المجلس الأمريكي للقادة السياسيين الشباب (ACYPL).

من خلال عرض هذه الأبعاد الثلاثة نستنتج أن الدبلوماسية العامة تعتمد على وسائل عديدة ومتميزة، نلخصها فيما يلي:

1. الإذاعة المسموعة والمرئية والصحافة، فمحطات الإذاعة تنقل إلى مختلف الشعوب أسلوب الحياة في الدول التابعة لها ووجهة نظرها حول القضايا المختلفة، وتحاول التأثير في الشعوب التي يصل إليها صوتها بمخاطبة كل منها بلغته. وإذاعة لندن، صوت أمريكا وصوت ألمانيا أمثلة على ذلك.

2. الاتحادات والروابط، كالاتحادات النسائية وجماعات أنصار السلام واتحادات الأدباء والفنانين والاتحادات العمالية والطلابية والروابط المهنية الأخرى. فكلها تنظيمات شعبية تمتلك القدرة على التحرّك والاتصال بالجماهير، ومن فوق منابرها يتم التفاهم والاتصال الشعبي.

3. المبعوثون إلى الخارج بشتى أشكالهم وألوان ثقافاتهم كرجال العلم والدّين فهم يشكلون أدوات غير رسمية للدبلوماسية العامة لبلادهم، يتحدثون عنها ويرفعون من مكانتها من خلال قيامهم بأعمالهم العلمية أو الدينية. وتعنى الدول في أيامنا هذه بإرسال مثل هؤلاء المبعوثين ليكونوا ممثلين غير رسميين لها، ولاشك أن نجاحهم يخدم أهداف دولهم ومصالحها في الخارج.

4. خبراء المنظمات الدولية من الاقتصاديين والاجتماعيين والفنيين وغيرهم، فهؤلاء الخبراء يتحدثون أثناء أدائهم لأعمالهم في القضايا المختلفة وينقلون بشكل أو بآخر وجهة نظر دولهم حول مختلف القضايا المحلية والدولية ويكون لهم تأثير ضخم على الرأي العام قد يفوق تأثير بعض السفراء. ولذلك على الممثلين الدبلوماسيين العمل على تنسيق جهود مثل هؤلاء المبعوثين وتوجيههم بما يتفق ومصالح بلدانهم من خلال الاتصال المستمر بهم.[29]

5. توزيع المنشورات المختلفة، وتقديم الكتب والمجلات للدول كهدايا، حيث تستخدم لنشر الثقافة والقيم الأمريكية...الخ

6. استقبال وإرسال الفرق الرياضية والفرق الغنائية والفنانين.

كما أن التوجه القائم على تركيز الإعلام الجماهيري يلعب دوراً بالغ الأهمية. فالحكومات تحتاج إلى تصحيح التحريفات اليومية لسياساتها، فضلاً عن محاولة بث رسالة استراتيجية أطول أجلاً. والقوة الأساسية الكامنة في توجه الإعلام الجماهيري تتلخص في قدرته على توليد الوعي العام ووضع الأجندات. ولكن نقطة ضعف هذا التوجه تكمن في عجزه عن التأثير على كيفية تلقي الرسالة في البيئات الثقافية المختلفة. فالجهة المرسلة تعرف ماذا تقول، ولكنها لا تضمن دوماً ما يسمعه المتلقي، وذلك لأن الحواجز الثقافية تميل إلى تشويه الرسالة لدى المتلقي.

ومن ناحية أخرى فإن الاتصالات الشبكية قادرة على الاستفادة من الاتصالات ذات الاتجاهين والعلاقات بين الأقران في التغلب على الفوارق الثقافية. وهذا الشكل من أشكال المرونة والتخلص من المركزيّة يصعب على الحكومات تحقيقه، وذلك نظراً لبنيتها القائمة على المساءلة المركزية.[30]

والواقع أن المرونة التي تتسم بها المنظمات غير الحكومية في استخدام الشبكات أدت إلى نشوء ما يسميه البعض «الدبلوماسية العامة الجديدة»، والتي لم تعد مقتصرة على بث الرسائل، وتنظيم حملات الترويج، أو حتى الاتصالات الحكومية المباشرة بالمسؤولين الأجانب الذين يخدمون أغراض السياسة الخارجية. فالأمر يتعلق أيضاً ببناء العلاقات مع الجهات الفاعلة في المجتمع المدني في بلدان أخرى وتيسير إنشاء الشبكات بين الأطراف غير الحكومية في الداخل والخارج.

خامسا : الدبلوماسية العامة الرقمية: (Public Diplomacy 2.0)

تعد الثورة التكنولوجية و ما أفرزته من تكنولوجيا رقمية من أهم مسببات سرعة التواصل بين أرجاء العالم، بعيدا عن حاجز الزمان و المكان، كما أنها ساهمت و بشكل كبير في إحداث ترابط ثقافي و فكري عبر عمليات تدفق الأفكار و الثقافات من خلال الشبكة الدولية للمعلومات التي أتاحت تواصلا أكبر بين الشعوب على المستويات غير الرسمية بعيدا عن الدوائر الحكومية الرسمية. وقد زادت في هذا السياق مبادرات المجتمع المدني و المنظمات غير الحكومية في مجال نشر الأفكار و الإبداع و الحوارات المتبادلة العابرة للحدود القومية اعتمادا على التكنولوجيا الحديثة، و المواقع الالكترونية لتسهيل التواصل.

يعبر عن استخدام الأنترنت و الوسائل الرقمية في الدبلوماسية العامة بـ: الدبلوماسية العامة الرقمية أو (Public Diplomacy 2.0).

يرى **جوزيف ناي** أنه في عصر المعلومات العالمي ستزيد الأهمية النسبية للقوة الناعمة،

لأنها تركز على المصداقية. فالبلدان ذات المكانة الجيدة بالنسبة لهته القوة يتحسن أداؤه، و البلدان المحتمل أن تكسب قوة ناعمة في عصر المعلوماتية هي:

- البلدان التي تكون ثقافتها و أفكارها المسيطرة أقرب إلى المعايير العالمية السائدة (التي تؤكد الآن على الليبرالية، التعددية و الاستقلال).
- البلدان التي لديها أكبر نفاذ إلى قنوات الاتصال المتعددة، فهي بذلك تملك تأثيرا كبيرا على كيفية تأطير القضايا.
- البلدان التي تعزز مصداقيتها بأدائها المحلي و الدولي.

وتشير أبعاد القوة في عصر المعلومات إلى الأهمية المتنامية للقوة الناعمة في خليط مصادر القوى، و إلى ميزة قوية للولايات المتحدة الأمريكية.[31]

وأضافت: "نحن في حاجة إلى دبلوماسية علنية عامة تواكب تطبيق السياسة، لا أن تكون نتيجة لها. ففي عصر المعلومات هذا، تعتمد إدارة العلاقات الخارجية بصورة متزايدة على قدرتنا على شرح أعمالنا وقيمنا لعالم غالبا ما تنتابه الشكوك حيالنا [..] ولكي يكون لنا تأثير عام في الخارج، يجب على وزارة الخارجية أن تنافس في مجال طريق المعلومات السريع المليء برسائل شديدة التأثير. ولكي نفعل ذلك، يجب علينا أن نستغل استغلالا تاما التكنولوجيات والمناهج المتاحة، ونجعل الدبلوماسية العامة جزءا لا يتجزأ من صنع سياستنا".

ويرى أن استهلال هذه الدبلوماسية العامة الجديدة يتناول تعديلا ضخما في هيكلية الموظفين والموارد: فالأنظمة التي سيُعاد تنظيمها هي أنظمة ضخمة ومعقدة. ومع ذلك، فإن إنجاح الدبلوماسية العامة سيكون عملا يتناول روح الإنسان وما يؤمن به أكثر منه عملية تغيير آلية. كما أن المهنيين المحترفين في كل من وكالة الإعلام الأمريكية ووزارة الخارجية ينتابهم الحذر ولديهم تساؤلات جادة بشأن إمكانية نجاح هذا الدمج بين المؤسستين. ولكن في صميم كل من المؤسستين الكثير من المحترفين المتمرسين الذين يحترمون التقليد، ويعترفون بالحاجة إلى التغيير، ويتشاطرون الشعور بواجبنا التاريخي. وهم يدركون أن الدبلوماسية العامة هي ضرورة لمستقبل الوزارة ومهمتها.[32]

وطبقاً لهذا النهج في التعامل مع الدبلوماسية العامة فإن السياسة الحكومية تهدف إلى تعزيز وتشجيع إنشاء مثل هذه الشبكات عبر الحدود والمشاركة فيها بدلاً من فرض السيطرة عليها. والواقع أن الإفراط في فرض السيطرة الحكومية، أو حتى الظهور بهذا المظهر، من شأنه أن يقوض المصداقية التي يفترض في تصميم هذه الشبكات أن يولدها. والواقع أن تطور الدبلوماسية العامة، من الاتصال من طرف واحد إلى الحوار ذي الاتجاهين، جعلها تتعامل مع عامة الناس باعتبارهم مشاركين في خلق الاتصالات وتحقيق المغزى منها.[33]

وطبقا لهذا النهج في التعامل مع الدبلوماسية العامة فإن السياسة الحكومية تهدف إلى تعزيز وتشجيع إنشاء مثل هذه الشبكات عبر الحدود والمشاركة فيها بدلاً من وطبقاً فرض السيطرة عليها. والواقع أن الإفراط في فرض السيطرة الحكومية, أو حتى الظهور بهذا المظهر, من شأنه أن يقوض المصداقية التي يفترض في تصميم هذه الشبكات أن يولدها. والواقع أن تطور الدبلوماسية العامة, من الاتصال من طرف واحد إلى الحوار ذي الاتجاهين, جعلها تتعامل مع عامة الناس باعتبارهم مشاركين في خلق الاتصالات وتحقيق المغزى منها.[34]

إن القوة في عصر المعلومات العالمية, سوف تشتمل على بعد جاذب إلى جانب الأبعاد الصارمة المتمثلة في القسر وسداد الثمن. ونستطيع أن نطلق على الجمع بين هذه الأبعاد بشكل فّعال «القوة الذكية». على سبيل المثال, يدور الكفاح الحالي ضد الإرهاب الدولي حول الفوز بالقلوب والعقول, ولا شك أن الاعتماد على القوة الصارمة وحدها ليس الطريق إلى إحراز النجاح في هذا السياق.

في ظل هذا العدد الهائل من المشاكل و القضايا الدولية اليوم، فإن الدبلوماسية تحتاج حقا إلى الجمع بين فن إدارة الدولة القديم من القرن العشرين والأدوات الجديدة التي وفرتها التكنولوجيات الناشئة. ولكن الأدوات وحدها لا تكفي لحل أو بناء أي شيء.

ورغم هذا فإن الأدوات الجديدة في كل مكان .فمن الصعب أن تجد سفيرا للولايات المتحدة في أي مكان من العالم لم يعتنق التحدي المتمثل في إتقان تكنولوجيات الاتصال هذه. وأغلبهم لديه حساب على تويتر أو فيسبوك، أو يضعون مشاركات على اليوتيوب بشكل متكرر، وكل هذا من أجل إبقاء الناس في البلدان التي يعملون بها(أو في الديار) مطلعين على أنشطتهم اليومية، أو من حين إلى آخر أرائهم في ما يتصل بقضية ما، أو حتى حالتهم المزاجية. ووفقا لتقديرات وزارة الخارجية فإن موظفيها على اتصال مباشر بأكثر من خمسة عشر مليون شخص في مختلف أنحاء العالم.[35]

تعدّ الصّحافة الالكترونية أحدى أهم البدائل الاتصالية التي أتاحتها شبكة الانترنيت (Internet)، وأسهمت هذه الوسيلة في تعظيم الأثر الاتصالي للعملية الإعلامية، من خلال ما تتوافر عليه من عناصر مقروءة ومرئية و مسموعة. وتبعا لطبيعة الصّحافة الالكترونية الخاضعة والمستفيدة من معطيات شبكة الانترنيت، فإن هذه الصّحافة تتوافر على عدد من السّمات الاتصالية المتميزة، من أبرزها سهولة تصفّحها، حيث تتم عملية التصفّح بسهولة كبيرة، وذلك من خلال مداخل متفرعة يمكن استعراضها في وقت واحد. بالإضافة إلى تحول معظم وسائل الإعلام التقليدية من صحف ومجلات وإذاعة وفضائيات تلفزيونية إلى الخدمات الرّقمية عبر شبكة الانترنيت.[36]

فالتكنولوجيا نقلت العمل الدّبلوماسي إلى مجالات جديدة. فاليوم أصبح الترابط مباشرة مع الأشخاص، كما تبدّل شكل الدبلوماسية العامة من بث رسالة أحادية الاتجاه

إلى تواصل ثنائي الاتجاه. ويقتضي هذا بذل مجهود لتنمية هذه العلاقات واستخدام وسائل إعلام جديدة بصورة مسؤولة وفعالة. وشأن جميع نواحي الدبلوماسية العامة فإن التواصل الإعلامي الجديد يقتضي أبحاثا وقدرا من المجازفة. ويقتضي وضع خطط للجمع بين الأدوات الصحيحة والفرص اللائقة. وسيكون لزاما على الحكومات أن تكون مستعدة لفهم أية رسائل يكون لها صدى لديهم ويمكن تضخيم صداها من خلال وسائل الإعلام أو التواصل الاجتماعي.

و هذا ما يطلق علية مصطلح «الدبلوماسية الافتراضية»، التي تعرف - حسب تقرير لبرنامج «مبادرة الدبلوماسية الافتراضية» التابع لمعهد السلام الأمريكي - على أنها: صنع القرار و التنسيق والاتصال و القيام بنشاطات، و إدارة وتسوية النزاعات الدولية، بالاعتماد على تقنيات المعلومات و الاتصالات التي يتبناها مواطنون و منظمات غير حكومية و هيئات دولية ودول .فالدبلوماسية الافتراضية تعترف بالهمية المتزايدة للأطراف الفاعلة من غير الدول، وتعمل على تكييف و تنويع الاتصالات عبر الوطنية.[37]

تستعمل وزارة الخارجية الأمريكية مثلا ثماني لغات في موقعها على الانترنيت بما فى ذلك اللغة الفارسية و الصينية، حيث تتيح لغالبية شعوب العالم الاطلاع على ما تنشره من مقالات ودراسات و تقارير، التي تهدف من خلالها القيام بشرح مبادئ السياسة الخارجية الأمريكية بطريقة يتقبلها الرأي العام العالمي، وتعمل على تحسين صورتها و شرح مبادراتها في الاصلاح ونشر الديمقراطية و الدفاع عن حقوق الانسان و محاربة الإرهاب .كما لها حساب على الفيسبوك يحمل تسمية: «وزارة الخارجية الأمريكية للعالم العربي».

إضافة إلى ذلك يعتمد غالبية السفراء و الدبلوماسيون و حتى الوزراء على مواقع التواصل الاجتماعي التفاعلية، بهدف تقديم صورة جيدة عن بلدانهم و سياستها الخارجية، وشرح الاعمال التي يقومون بها، ويساهمون في نشر ثقافة بلدانهم على نطاق عالمي، وتستخدم أيضا من قبلهم لتهيئة الرأي العام العالمي لقرار معين يكون ذا أهمية عالمية، بالنسبة للدول الكبرى.

الخـــاتمة :

نستنتج في الأخير أن للدبلوماسية العامة أهمية بالغة في السياسة الخارجية للدول، خاصة بعدما تزايدت أهمية وسائل الإعلام والاتصال، بعد التطور الهائل في وسائله وأنظمته خاصة في عصر الثورة الرقمية، حيث أصبح بإمكان أغلب شرائح المجتمع المختلفة الوصول إلى المعلومة والخبر بسرعة قصوى وفاعلية باستخدام الوسائط الرقمية ومواقع التواصل الاجتماعي، وأصبح المجتمع يشارك في هذا التفاعل مباشرة. وهذا ما يجعل للدبلوماسية العامة مكانة مهمة في الاستراتيجية الأمريكية مستقبلا، لأن الدبلوماسية العامة تعتمد على وسائل الإعلام والاتصال المتطورة، في نشر الأخبار و الأفكار والثقافة و القيم الأمريكية، لأن هذه

الوسائل تمكن من الوصول إلى المتلقي (الشعوب) مباشرة، دون المرور على حكومات الدول المستهدفة.

إن تكاليف الدبلوماسية العامة و القوة الناعمة أقل بكثير مقارنة باستخدام القوة الصلبة في تنفيذ الإستراتيجية الأمريكية .إضافة إلى عدم قبول الشعوب بالتدخل العسكري، سيجعل ذلك من الدبلوماسية العامة وما تحققه من اختراق ثقافي، البديل الأمثل عن التدخل العسكري المباشر لتحقيق المصالح و الأهداف الإستراتيجية.

بسبب تطو رّ وسائل الإعلام والاتصال، أصبحت الشعوب تطلّع على كل ما يهمها، من خطط أو قرارات موجهة نحو دولهم، وبالتالي يجب أن تُستخدم الدبلوماسية العامة لتهيئة الطريق لاتخاذ قرار معين، وترشيد أو تصحيح فهم هذه الشعوب للبرامج أو السياسات الموجهة نحو دولهم.

لقد أصبح للرأي العام (المحلي و العالمي) دور بالغ الأهمية، خاصة بعدما شهدناه خلال فترة الثورات الشعبية في الدول العربية، أو ما يسمى بالربيع العربي، وهذا ما سيجعل من الدول تأخذ بعين الاعتبار، رضا الرأي العام وردود أفعاله تجاه سياستها الخارجية . وهذا ما يحتمّ عليها الاعتماد أكثر على القوة الناعمة ووسائل الدبلوماسية العامة، لكسب الرأي العام والتأثير فيه قبل اتخاذ أي قراريخص دولهم.

الهوامش:

1 عطا محمد صالح زهرة، في النظرية الدبلوماسية، ط1، عمان: دار مجدلاوي، 2004، ص103.

2 view: John Tourist, "China Uses Language Training as Public Diplomacy Tool", Available on the web site of Public Diplomacy Watch: http://www.publicdiplomacywatch.com

3 World, The US Advisory Group on Public Diplomacy for the Arab and Muslim. "Changing Minds Winning Peace: A New Strategic Direction for U.S. Public Diplomacy in the Arab & Muslim World", US House of Representatives, October 1, 2003, p.13.

4 Report of the United States General Accounting Office (GAO), "U.S Public Diplomacy: State Department Expands Efforts but Faces Significant Challenges", U.S House of Representatives, (September.2003), p. 9.

5 Hans N. Tuch, Communicating with the World: Us Public Diplomacy Overseas, George Town: Georgetown University Press, 1990. p.3.

6 سعود كابلي، «الدبلوماسية العامة: الفريضة الغائبة»، في:
;[11/03/2017].http://www.alwatan.com.sa/Articles/Detail.aspx?ArticleId=3262

7 كروكر سنو، «مورو في الخير العام: من شؤون الصحافة إلى الدبلوماسية العامة»، في:
; [11/03/2017].http://www.america.gov/st/humanrights-arabic/2008/June/20100629170217x0.2784235.html

8 نفس المرجع.

9 يحيا فاضل صدقة، «القوة الناعمة»، مجلة الشورى، العدد: 107، ربيع الثاني 1430، ص40. أو في:
;[19/07/2016].http://www.shura.gov.sa/magazine/majalah107/majpdf/mkal2.pdf

10 روبرت كيوهن و جوزيف ناي، «القوة والاعتماد المتبادل في عصر المعلومات»، مجلة شؤون الأوسط، العدد 103، ص75.

11 روبرت كيوهن و جوزيف ناي، مرجع سابق، ص75.

12 Joseph S. Nye, "U.S. Power and Strategy After Iraq", Op.cit.

13 جوزيف ناي، «القوة الناعمة والكفاح ضد الإرهاب»، مرجع سابق.
14 جوزيف ناي، «حدود القوة الأمريكية»، ترجمة: علي حسين باكير، في :
;[25/10/2016].http://www.geocities.com/adelzeggagh/trans.html
15 أحمد فاروق عبد العظيم، «سياسة القوة في المشروع الأمريكي للنظام العالمي»، السياسة الدولية، العدد 158، أكتوبر 2004، ص33.
16 جوزيف ناي، «أمريكا واستعادة القوة الذكية»، في:
; [25/10/2016]. http://www.siironline.org/alabwab/derasat(01)/496.htm
17 جوزيف ناي، «حدود القوة الأمريكية»، مرجع سابق.
18 جوزيف ناي، «القوة الناعمة والكفاح ضد الإرهاب»، مرجع سابق.
19 جوزيف ناي، «القوة الناعمة والكفاح ضد الإرهاب «، مرجع سابق.
20 World, The US Advisory Group on Public Diplomacy for the Arab and Muslim, Op.cit, p13.
21 Lisa A. Curtis, "America's Image Abroad: Room for Improvement", (The Heritage Foundation, 31 May 2007), in: http://www.policyarchive.org/handle/10207/bitstreams/12161.pdf; [25/10/2016].
22 كارين هيوز، شرح للجنة العلاقات الدولية عن مبادرات الدبلوماسية العامة، في الموقع الالكتروني لمكتب برامج الإعلام الخارجي بوزارة الخارجية الأمريكية، في:
;[08/12/2016].http://usinfo.state.gov/ar/Archive/2005/Nov/14-408838.html
23 جوزيف ناي، «القوة الناعمة والكفاح ضد الإرهاب «، مرجع سابق.
24 محمد عبد الله يونس، «رؤية جديدة لتفعيل الدبلوماسية العامة في عهد أوباما»، تقرير واشنطن، في: http://.[14/05/2016]; fatehforums.com/forumdisplay.php?f=18
25 فيليب تايلور، «الدبلوماسية العامة و مكانتها في السياسة الخارجية»، مجلة الدبلوماسي، معهد الدراسات الدبلوماسية (السعودية) العدد 52، أكتوبر 2010، ص39.
26 Mark Leonard, "Diplomacy by Other Means", Foreign Policy, 2002a, Sep-Oct. n° 132, p.50. Or in: http://ics.leeds.ac.uk/papers/vp01.cfm?outfit=pmt&folder=7&paper=1062; [25/10/2016].
27 كارين هيوز، مرجع سابق.
28 حسام عبد الحميد، «السياسة الأمريكية على أنغام البوب.. سوا»، في:
; [04/03/2017]. http://communication.akbarmontada.com/t1224-topic
29 عطا محمد صالح زهرة، مرجع سابق، ص104-105.
30 جوزيف ناي، «الدبلوماسية العامة الجديدة»، مرجع سابق.
31 جوزيف س. ناي، مفارقة القوة الأمريكية، تر: محمد توفيق البجيرمي، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان، 2003، ص136
32 إيفلين ليبرمان، المرجع سابق.
33 نفس المرجع.
34 نفس المرجع.
35 Christopher R. Hill, "The Limits of Twitter Diplomacy", in: https://www.projectsyndicate.org/commentary/why-diplomats-should-not-depend-on-social-media-by-christopher-r--hill
36 فيصل أبو عيشة، الإعلام الالكتروني، ط1، الأردن: دار أسامة، 2010، ص15.
37 تقرير،"وسائل الاعلام العربية :هل هي أدوات للشعب»، سلسلة الدبلوماسية الافتراضية، معهد السلام الأمريكي، في:
http//www.usip.org/files/resources/vd18_arabie.pdf _